الفصل الثانى
من إدريس إلى إخناتون

سيدنا إدريس عليه السلام: هو واحد من الأنبياء الذين ورد ذكرهم فى القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۝ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[2]، ويرجح علماء الديانات أنَّه بُعِثَ منذ أكثر من سبعة آلاف سنة، وهو أوَّل داع إلى التوحيد، ولد فى موضع مدينة أُدْفُو الحاليَّة فى صعيد مصر، ووضع للمصريين أركان الدين والعبادة، وكانت له مواعظ ووصايا، ويذكر ابن الجوزى[3] أنَّه تنبَّأ فى حياة جدِّه آدم، وأُنْزِلَتْ عليه ثلاثون صحيفة؛ فدعا قومه، ووعظهم وأمرهم بطاعة الله وعبادته، وعصيان الشيطان[4].

ومن مصر انتقل إلى الهند ليستأنف دعوة التبشير والوحدانية، وقد كان على علم كبير بلغات أهل الأرض جميعا؛ فقد كان يحدِّث كلَّ قوم بلغتهم ولهجاتهم، وعمَّت ملَّته أرجاء الأرض، وكان أول من عرف العلوم الكونية، والجيولوجيا، والرياضيات.

عُرِفَ سيِّدنا إدريس عليه السلام بأسماء كثيرة فى التاريخ، منها:

---

(١) سورة مريم ١٩: ٥٦ ـ ٥٧.

(٢) سورة الأنبياء ٢١: ٨٥.

(٣) أبو الفرج، عبد الرحمن بن على بن محمد (٥٠٨ ـ ٥٩٧ هـ) مؤرخ، محدث، واعظ، أشهر كتبه المنتظم، وزاد المسير. انظر: الأعلام ٣ / ٣١٦، ومعجم المؤلفين ٥ / ١٥٧.

(٤) المنتظم ١ / ٢٣٤.

❁ الاسم الأول: هرمز، أو هرمس Hermès: وتذكر كتب التفاسير أنَّ هذا لقب له، وإنَّما سُمِّى " إدريس " لأنَّه أوَّل من دَرَّسَ الوحى المكتوب[1]، وأوَّل مَنْ خط بالقلم وأوَّل مَنْ قَطَّعَ الثياب وخاطها، وأوَّل مَنْ أُعْطِىَ النبوَّة بعد آدم وشيث[2].

وتسميه الفرس فى سيرها " اللهجد " وتفسيره ذو عدل، وهو الَّذى تذكر الحرانيَّة ـ يعنى الصابئة ـ نبوته[3].

ونقل المسعودى فى أكثر من موضع من كتابه "التنبيه والإشراف" أنَّ سكَّان مصر القدماء كانوا يعتقدون نبوَّة هرمس[4].

وزعم اليونانيون أنَّ هرمس ابن كبير الآلهة زيوس Zeus من مايا Maia، وهو رسول الآلهة والناطق بلسانهم، يسهر على التجارة والبائعين والمسافرين واللصوص أيضًا، وهو قائد الأرواح من عالم الأحياء إلى عالم الموتى، ويساعد الأبطال متى شاء، ويحمى الخطباء، ويتصف بصفتين أساسيتين، هما:

المكر والخداع؛ لذلك فهو يسهر على التجارة والبائعين والمسافرين واللصوص.

والذكاء والفطنة؛ فهو مخترع الأبجدية، والموسيقا، وعلم الفلك، والأوزان والمكاييل، والرياضة، وهو أوَّل من صنع القيثارة من قوقعة سلحفاة، وجعل لها أوتارًا من أمعاء ثور[5].

وقال أفلاطون الحكيم وبلوتارك وغيرهما من علماء اليونان: إنَّ هرمس ألَّف كتبا كثيرة تشتمل على النصائح والوصايا وأركان الدين والعبادة... من بينها ما كان يعرف بالوصايا العشر.

ويذكر المؤرخ كليمنت السكندرى أنَّه كان فى مصر القديمة كهنة متخصِّصون

---

(١) المنتظم ١ / ٢٣٣.

(٢) راجع: تاريخ الطبرى ١ / ١٠٦، وتاريخ اليعقوبى ١ / ١١، والكامل فى التاريخ لابن الأثير ١ / ٤٧ و ١٤٧ والبداية والنهاية لابن كثير ١ / ٩٩.

(٣) مسالك الأبصار ٩ / ١٥، نقلا عن عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة.

(٤) التنبيه والإشراف ١٨، ٥٩، ١٣٨.

(٥) معجم أعلام الأساطير والخرافات ٣٤٨.

فى تدريس هذه الوصايا العشر الَّتى تنطوى على أصول العبادة والتقوى المصرية.

وزعم ابن العبرى أنَّ الهرامسة ثلاثة:

الأول: هرمس الساكن بصعيد مصر الأعلى، وهو أول من تكلَّم فى الجواهر العلوية، وأنذر بالطوفان، وخاف ذهاب العلوم؛ فبنى الأهرام لحفظها.

والثانى: هرمس البابلى، سكن كلواذا ـ مدينة الكلدانيين ـ وكان بعد الطوفان، وهو أول من بنى مدينة بابل بعد نمرود بن كوش.

والثالث: هرمس المصرى، وهو الَّذى يسمَّى طريسميجيسطيس، أى المثلث بالحكمة؛ لأنَّه جاء ثالث الهرامسة الحكماء[1].

وواضح فى كلام ابن العبرى التخليط، والخروج عن الجادَّة، من ذلك:

أ ـ أنَّ هرمس البابلى هو ذاته هرمس المصرى، وقد سبق أنْ ذكرنا أنَّه انتقل إلى الهند لنشر رسالة التوحيد، ولا بدَّ أنْ يمر فى طريقه ببابل، ولا معنى لاختراع هرمس بابلى بين هرمسين مصريين.

ب ـ أنَّه فسر كلمة " طريسميجيسطيس " تفسيرين مختلفين، سيأتى ذكرهما.

جـ ـ بناة الأهرام معروفون، وبناة بابل معروفون، ولا علاقة لهرمس بهم.

❁ الاسم الثانى: حورس Horus: ذكر بعض العلماء الأثريين أنَّ نبى الله إدريس عليه السلام كان يسمَّى حورس، وقد أصبح إله السماء والنور والخير.

وتقول كتابات المصريين القدماء المسجلة أنَّه وُجِد على حزامه العبارات الآتية:

✿ حِفْظ فروض الشريعة من تمام الدين، وتمام الدين من كمال المروءة، وخاصَّة من خواص الإنسان التقى.

✿ السعيد من رأى نفسه فى مرآة صلاته وعبادته.

✿ حياة النفوس فى الحكمة وموتها فى الجهل[2].

❁ الاسم الثالث: أخنوخ Enoch: أصل هذا الاسم فى الإسرائيليات، جاء فى

---

(١) تاريخ مختصر الدول ٧.

(٢) الوصايا العشر.

العهد القديم أنَّ يَارَد بن مَهْلَلْئِيل بن قَيْنَان بن أَنُوش بن شِيث بن آدم وُلِدَ له وَلَدٌ سمَّاه " أَخْنُوخ " عاش " ثَلاَثَ مِئَةِ سَنَةٍ وَخَمْسًا وَسِتِّينَ سَنَةً، سَارَ أَخْنُوخُ مَعَ ٱللهِ، وَلَمْ يَكُنْ بَعْدَ ذَلِكَ؛ لأنَّ ٱللهَ أَخَذَهُ"[1].

وقد تصحَّف الاسم كثيرا فى المصادر العربية فقد ورد مثلا: خنوخ، حنوخ، أحنوخ..

❁ الاسم الرابع: تحوت Thoeh: يرى الدكتور نديم السيَّار أنَّ إدريس النبى يقابل فى الديانة المصرية القديمة الإله " تحوت "، وهو الرأى الَّذى يراه الإغريق[2]، فقد كان تحوت بالغ الأثر فى تاريخ الفكر الغربى بدْءًا من اليونانيين، وحتَّى الاكتشافات الَّتى أطلقت النهضة الأوربية فى القرن السادس عشر

وقائمة المفكِّرين الَّذين اعترفوا بفضل تحوت تكاد أنْ تشكِّل موسوعة كاملة من أكبر مفكِّرى العالم الغربى وعلمائه وفنَّانيه، ومن بينهم: ليوناردو دافنشى، ودورر، وبوتيتشللى، وروجر بيكون، وباراكيلسوس، وتوماس مور، ووليم بليك، وكوبرنيكوس، ونيوتن، وولترالى، وميلتون، وبن جونسون، ودانييل ديفو، وشيللى، وزوجته مارى، وفيكتور هيجو، وكارل يونج، كما كان أثره عميقًا على شكسبير، وجون دون، سير فيليب سيدنى، وكريستوفر مارلو، وجورج شابمان، وفرانسيس بيكون... وكل الشعراء الفلاسفة الَّذين أحاطوا ببلاط الملكة إليزابيث الأولى، والأعضاء المؤسسين للجمعية الملكية فى لندن وبلغ نفوذه حتَّى قادة الإصلاح البروتستانتى فى أوربا، والقائمة لا تنتهى حيث أثَّرت تعاليم هرمس على الحكمة والتصوف الإسلاميين، كما حفظ التراث التنسُّكى اليهودى موحِّدًا بين هرمس ونبيِّهم إخنوخ[3].

---

(١) تكوين ٥: ٢٣ ـ ٢٤ .

(٢) معجم أعلام الأساطير والخرافات ٣٤٨، توت Thot أو تحوت Thoth إله الحكمة والسحر والقمر، وهو الذى يقيس الزمن، وكانوا يصورونه على هيئة العجل إبيس Ibis، وهو زوج الإلهة معات Maat، إلهة الحقيقة والصدق والعدالة، وابنة الإله رع Ra، وتصور على هيئة ريشة يوزن بها قلب الميت.

(٣) متون هرمس ١٣ ـ ١٤، ٢١.

ومن متون هرمس:

إدراك آتوم شاق، وتحديده مستحيل

فلا يستطيع الناقص والفانى إدراك الكامل والخالد بيسر وسهولة

آتوم هو الواحد الصمد ن غير متحرِك، ومع ذلك هو أصل الحركة ذاتها

لا يشوبه نقص

هو الباقى دوما ن هو الخالد ابدًا

هو الواقع الحق كما أنَّه المطلق الأكمل الأسمى

هو جماع الأفكار الَّتى لا تدركها الحواس

ولا تدركه المعرفة مهما عظمت

آتوم هو الفكر الأول، هو اعظم من أنْ يطلق عليه اسم يتوم

هو الخفى المتجلِى فى كل شىْء

تعرف كينونته بالفكر وحده، وتدركه عيوننا فى الآفاق

لا جسد له، ولكنه فى كل شىْء

وليس هناك ما ليس هو

لا اسم له؛ لأنَّ جميع الأسماء اسمه

هو الجوهر الكامن فى كل شىْء

فلنعرفه بكل الأسماء، ولنعرف كل شىْء باسم آتوم

هو أصل كل شىْء ومنبعه[1].

❁ الاسم الخامس: طريسميجيسطيس مثلث العظمة Trismagistus: قال ابن العبرى: الأقدمون من اليونانيين يزعمون أنَّ حنوح هو هرمس ويلقَّب "طريسميجيسطيس" وفسَّره تفسيرين مختلفين:

الأول: ثلاثى التعليم؛ لأنَّه كان يصف البارى تعالى بثلاث صفات ذاتية هى: الوجود والحكمة والحياة.

---

(١) متون هرمس ٤٢.

والثانى: المثلث بالحكمة؛ لأنَّه جاء ثالث الهرامسة الحكماء.

ومن أقوله نُبَذٌ على هيئة سؤال وجواب، وزعم أنَّها موجودة عندهم بالسريانية[١].

❁ الاسم السادس: إلياس: روى الإمام البخارى ﷺ عن ابن مسعود، وابن عباس ﷺ أنَّ إلياس هو إدريس[٢]، واستأنسوا فى ذلك بما جاء فى حديث الإسراء أنَّ الرسول ﷺ لمَّا مرَّ بإدريس عليه السلام قال له: مرحبا بالأخ الصالح، والنبى الصالح، ولم يقل له كما قال آدم وإبراهيم: مرحبا بالنبى الصالح والابن الصالح؛ فلوكان إدريس فى عمود نسبه لقال له كما قالا له.

وقول الله تعالى: ﴿ سَلَـٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴾[٣] قرأه ابن مسعود وغيره ﴿ سَلَامٌ عَلَىٰٓ إِدْرِيسِينَ ﴾ ونُقِلَ عنه من طريق إسحاق عن عبيدة بن ربيعة عن ابن مسعود أنَّه قال: إلياس هو إدريس، وإليه ذهب الضحَّاك بن مزاحم، وحكاه قتادة، ومحمد بن إسحاق. والصحيح أنَّه غيره[٤].

❁ الاسم السابع: الخضر: كثيرا ما تختلط سيرة الخضر بسيرة إلياس، وزعم بعضهم أنَّهما أخوان، وكما قيل إنَّ إدريس هو إلياس، قيل أيضا: إنَّه هو الخضر نفسه[٥].

❁ الاسم الثامن: أندرياس Andereas: زعم البعض أنَّ سيِّدنا إدريس هو أندرياس الَّذى رُفِع مكانًا عليًّا، وقيل: إنَّه هو طاهى الإسكندر الَّذى كُتِبَ له الخلود[٦].

---

(١) تاريخ مختصر الدول ٧.

(٢) انظر: صحيح البخارى، الحديث رقم ٣٣٤٢، كتاب الأنبياء ٦٠، باب ذكر إدريس عليه السلام ٥.

(٣) سورة الصافات ٣٧: ١٣٠.

(٤) راجع: قصص الأنبياء للطبرى ٧٧، وقصص الأنبياء لابن كثير ٥١، وقصص الأنبياء والمرسلين ٤٣٩.

(٥) قصص الأنبياء لابن كثير ٣٨٩، ودائرة المعارف الإسلامية ٢ / ٥٦٦.

(٦) دائرة المعارف الإسلامية ٢ / ٥٦٦.

وتعدد الأسماء للنبى الواحد ظاهرة شائعة فى قصص أكثر الأنبياء، وبعض هذه الأسماء صفات لهم، فالخليل هو إبراهيم، والكليم هو موسى، والمسيح هو عيسى، والأمين هو محمد، وله من الأسماء: أحمد، والماحى، والحاشر، والعاقب، والمقفَّى، والمزَّمل، والمدَّثر، وطه، وياسين، وعبد الله، والرءوف، والرحيم، ونبى الرحمة... وعشرات الأسماء الأخرى[1].

الملك مينا

الملك مينا Menes : هو موحد القطرين، ومؤسس الأسرة الأولى فى سنة ٣٢٠٠ ق.م.، وقد قام بحربه المقدسة لتوحيد البلاد تحت راية توحيد الإله الواحد الأحد الَّذى رمز له بصقر السماء.

وبعد بناء مدينة منف ـ وهى ميت رهينة الحالية، إحدى القرى التابعة لمحافظة الجيزة ـ أصبحت عاصمة مصر كلها فى عهد الدولة القديمة وحتى نهاية الأسرة السادسة، كما أصبح الإله "بتاح" خالق الكون، طبقا لعقيدة أهل منف، وهو بخلاف مجموعة الآلهة المصرية لم يأخذ صورة حيوان، بل لم تكن له صلة بأى شكل حيوانى، وصوَّروه على هيئة رجل فى لفائف مومياء، وكفُّه اليمنى فوق كفه اليسرى، وهما على صدره فى وضع الصلاة، وبخلاف عقائد الآلهة الأخرى كانت هذه العقيدة تسودها الروحانية، وبلغت مستوى رفيعًا من التفكير الدينى[2].

ويجب أنْ نتذكَّر أنَّ اتِّخاذ المؤمنين رمزًا لعقيدتهم لا يقدح فى إيمانهم وتوحيدهم؛ فلا علاقة للرمز بما فى القلب، وقد يكون هذا الرمز حيوانا أو نباتا أو رسما؛ كاتخاذ المسيحيين الصليب شعارا لعقيدتهم، وأمَّا بنو إسرائيل فلم يتخلَّوا قط عن عبادة العجل، والكبش، والحَمَل، وظلُّوا زمنا طويلا يتخذون العجل رمزا لإلههم "يهوه"، وقد بقيت عبادة العجل تتجدَّد فى حياتهم من حين إلى حين[3].

---

(١) انظر: الوافى بالوفيات ١ / ٦٢.

(٢) مصر فى العصر العتيق ١١٥.

(٣) قصة الحضارة ٢ / ٣٣٨، والأديان المعاصرة ١١.

آنى Ani: هو مؤلف كتاب الموتى قبل نحو أربعة آلاف عام، أو هو راويه عن سيِّدنا إدريس عليه السلام وكاتبه، وقد أنزله المصريُّون منْزلة الأنبياء والرسل، وهو أول كتاب يصف رحلة الإنسان بعد الموت قبل كتابى رسالة الغفران للمعرى، والجحيم لدانتى، وقد وصل إلينا النص الَّذى كتبه آنى فى بردية واحدة، عرضها ٤٠ سم، وطولها ٣٠ مترا، محفوظة الآن فى المتحف البريطانى، ويزعم آنى أنَّه مات، وسافر إلى العالم الآخر ثم عاد ليروى لنا تجربته، ويصف آنى رحلة الروح يوما بيوم، منذ أنْ تفارق الجسد، إلى أنْ يتم تحنيطه ودفنه، ووصف كيفية إجراء المراسم الجنائزية للمومياء فى رحلتها إلى البر الغربى للنيل، حيث تدفن هناك، وبعدها تنتقل الروح فى موكب الشمس، عبر الفضاء، حتى تصل إلى المحكمة التحضيرية، وقضاتها اثنا عشر قاضيا، يمثِّل كل قاض منهم برجا من بروج السماء الاثنى عشر، وفيها يتعرَّف الميِّت على البرج الَّذى ينتمى إليه، والذى كان مسيطرا على صفاته وسلوكه فى الحياة الدنيا، ويقوم ممثِّل البرج بتقديم النصائح والتعليمات للميت، يستعين بها على مصاعب الرحلة المقبلة، عبر السموات السبع.

يصف آنى بالتفصيل كل سماء من هذه السموات، مبيِّنا ما فيها من كائنات ومخلوقات، وما يتعلَّق بها من أساطير وحكايات، وما يجب أنْ يُتْلَى فيها من تعاويذ وأدعية.

وأخيرا تصل الروح إلى محكمة الآخرة وفيها ٤٢ قاضيا، يمثلون أقاليم مصر المعروفة، ويقفون حول أوزير Osiris كبير الآلة، وهناك يتربَّع الإله أوزير على عرشه السماوى، يشع النور من جسده، ويضيء قاعة المحكمة بأكملها.

ويصف آنى إجراءات المحاكمة، والميزان، والملكين اللذين يسجلان الحسنات والسيئات، والأسئلة الَّتى يوجهها القضاة، والأجوبة الَّتى أعدَّها الميت مقدما ليجيب بها عن تلك الأسئلة، والدفاع الَّذى استعد به، ثم يصدر الإله أوزير حكمه النهائى بتسجيل ولادة آنى فى عالم الخلود.

ينتقل آنى من المحكمة إلى جنَّة الخلد، ويصف لنا الجنة والجحيم وهو فى طريقه إلى مستقر الخلود:

الجنَّة: سبع طبقات: تبدأ بجنة الأبرار، ثم جنَّة شهداء حرب العقيدة، ثم جنَّة المرسلين، وجنَّة الملائكة، ثم تستمر صعدا حتى تبلغ أعلى درجات الجنَّة، وهى جنَّة النور الَّتى يقوم فيها عرش الإله.

وفى الجنة نهر من خمر، ونهر من لبن ينْزل من ثدى " نوت "، ونهر من عسل، وحقول من القمح، سنابله من ذهب، وفيها ملابس لا تتسخ، ولا تُبَلُّ، وفيها شباب دائم، وجسم لا يعرف المرض أو التعب أو الفناء، وليس فيها أرواح خبيثة أو شريرة، أو حيوانات كاسرة، أو حشرات.

جهنم: سبع طبقات: أو سبع بحيرات للعذاب، تبدأ ببحيرة ماؤها من لهب، يلقى فيها المجرمون، فيتعذَّبون، ولكن لا تحترق أجسادهم، ولا يموتون، وفيها بحيرة تزخر بالتماسيح الجائعة المفترسة، وبحيرة ثالثة تسكنها الحيَّات والثعابين السامة...ولا ينسى آنى وصف زبانية الجحيم؛ فهم جميعا وحوش وحيوانات ضارية، يتفنَّنون فى تعذيب أهل الجحيم.

والذهاب إلى العالم الآخر والعودة منه شبيهة بما جاء فى القرآن الكريم عن الإسراء والمعراج، وقد أخبرنا رسول الله ﷺ بما شاهده فى هذه الرحلة، وما سيكون عليه حال الناس بعد البعث والنشور، ووصف لنا الجنَّة ونعيمها، والجحيم وعذابها، ومنازل أهل الجنَّة ومنازل أهل النار...[1].

إيبور

النبى إيبور: ترسم كتب الأدب الفرعونى أيَّام الدولة الوسطى صورة حيَّة للمحنة السياسيَّة الكبرى الَّتى أعقبت سقوط الدولة القديمة، وما تلاها من شدائد وأهوال، ثمَّ ما أعقب ذلك من جهود مضنية لتجاوز هذه الأزمة، والنهوض

(١) الوصايا المصرية العشر.

بالوطن من كبوته، ونجد صورة من حياة مصر فى تلك الفترة فى التحذيرات الَّتى واجه بها النبى إيور[1] فرعون، وقد أفزعت النبى صور السقوط المنكرة، فأخذ يعرض ألوانها على فرعون، ويحذِّره عواقبها، ويلومه على التفريط فى أمر البلاد، ويغريه باليقظة، ويدعوه إلى الإصلاح بكل الوسائل المستطاعة، وجاء فيها:

"لك الحكمة والرويَّة، ومعك الحق، (لتوضح ذلك فإنِّى أراك) وقد تركت الفوضى تأخذ سبيلها، والمفسدين يعيثون فى الأرض، وهرج الثوَّار يملأ الجو، ألا ترى الناس يضرب بعضهم بعضًا، وهم يمرُّون بأوامرك فلا يقيمون لها وزنًا؟ أرأيت راعيًا يحبُّ الموت ؟".

ولكنَّ النبى مع ذلك لا ييئس من الإصلاح، ويدعو إليه فى حرارة وإيمان، ويبشِّر الناس بأيَّام حلوة يحملها إليهم المستقبل[2].

ومن أقواله أيضا: "يا ليتها كانت القاضية، فلا والد ولا ولد، ليت الحياة تسكن، فى شقاق ولا نزاع"[3].

الملك إخناتون

الملك إخناتون Ikhnaton " Akhenaton ": أوَّل الموحدين "أَنْتَ وَاحِدٌ.. وَلاَ إِلَهَ غَيْرُكَ.. وَلاَ شَرِيكَ لَكَ"

فى التاريخ المعروف، ربَّما كانت هذه أوَّلَ صيحةٍ إنسانيَّة بوحدانيَّة الله تعالى،

---

(١) يقول الدكتور أحمد بدوى: وجدت تلك التحذيرات فى قرطاس من البردى محفوظ فى متحف ليدن بهولاندا، يعرف باسم " برديَّة ليدن رقم ٣٤٤ - Leyden Pap. No. ٣٤٤ "، وقد بحثها أكثر من عالم، منهم العالم الألمانى المعروف Erman فى كتابه " Liferatur der Aegypter "، والعالم الإنجليزى Gardiner فى كتابه " The Admonitons of an Egyptian Sage "، والعالم الإنجليزى Peet فى كتابه " A Comparative Study of The Literatures of Egypt , Palestine and Mesopotamis "، والعالم الأمريكى Breasted فى كتابه " فجر الضمير The Dawn of Conscience "، وأخيرا العالم الألمانى Pieper فى كتابه " Die Agyptiache Literatur ". انظر: فى موكب الشمس ٢ / ١٩١ ح ١.

(٢) فى موكب الشمس ٢ / ٧٥، ١٩٢.

(٣) المصدر السابق ٢ / ٦٦.

وأوَّل دعوةٍ إلى عبادت الله بلا شريك؛ فهو خالق كلِّ شيء فى الوجود، ورازق الفرخ فى بيضته، ومطعم الجنين فى بطن أمِّه، وباعث الحياة فى قلب البذرة الصغيرة، فى جوف الأرض، فيخرج منها نبات مختلف ألوانه.

إنَّه الإله الواحد الأحد الَّذى عرفه إخناتون العابد الشاعر، وسمَّاه آتون، ورمز إليه بقرص الشمس، تمتدُّ منه أياد بشريَّة تفيض بالنعمة، وتمنح الحياة لكل الكائنات.

وليس صحيحا ما يزعمه بعض المؤرخين من أنَّ عقيدة إخناتون دخيلة على البيئة المصريَّة، وأنَّ إخناتون بشَّر بدين عرفه من لدن أمِّه الَّتى جيء بها إلى بلاط أبيه من أحد الأقطار الآسيوية، وأنَّها كانت تعكف على عبادة إله يدعى "أدونای" أو "آدون" أو "آتون" ومعناه "السيِّد" ـ بحسب اختلاف اللهجات السائدة فى تلك البلاد ـ ومثل هذه الآراء تخالف الحقيقة والتاريخ؛ فشعب مصر عرف عبادة الإله الواحد ممثلا فى الشمس منذ القدم، عرفت آثارها منذ نحو ٤٢٤٠ ق.م. فى مدينة "أيون = هليوبوليس "[١].

وقد فنَّد الدكتور أحمد بدوى أقوال المؤرخين، وأثبت أنَّه لا علاقة للإله " آتوم" المصرى بغيره من الآلهة الآسيوية أو الإغريقية؛ فالتاريخ الصحيح لا يكاد يعرف بينه وبين "أدونای" عند العبرانيين، ولا بينه وبين "آدون" (= أدونيس) عند الشرقيين أو الإغريق صلة ولا سببا؛ لأنَّ عبادة الشمس فى مصر عريقة، يرجع تاريخها إلى أيَّام انتظام وسائل الحياة الإنسانيَّة فى هذا الوادى[٢].

كان أمنحتب الثالث ـ والد إخناتون ـ واحدا من أعظم الملوك المحاربين فى تاريخ مصر القديم، عاش حياة حافلة بالعظمة والنعيم الدنيوى، ومات عن إمبراطوريَّة عظيمة تمتد حدودها من آسيا الصغرى فى الشمال إلى بلاد النوبة فى الجنوب، وبعد موته، ورث العرش ابنه أمنحتب الرابع الَّذى عرفه التاريخ باسم

---

(١) فى موكب الشمس ٢ / ٥٨٣.

(٢) المصدر السابق ٢ / ٥٨٠.

إخناتون، ومعناه " الإله آتون راض "، وهو شاعر ومصلح دينى شاءت له إرادة الله أنْ يكون ملكًا.

إخناتون هو واحد من أشهر ملوك الأسرة الثامنة عشرة، تولَّى الحكم فى سنة ١٣٧٢ ق.م. والظاهر من صور الرجل وتماثيله أنَّه لم يكن صحيح الجسم، وإنَّما كان معتلاً، فقد كان يبدو عظيم البطن، ضعيف البنية، نحيل الجسم إلى حدٍّ لا يكاد يصدِّقه العقل، بارز الوجنتين، متدلِّىَ الفك غليظ الشفتين، ذا وجه نسائى فى رقَّته، شاعرى فى أحاسيسه، وكانت له جفون كبيرة كجفون الحالمين الخياليين، وجمجمة طويلة شوهاء، مدبر الذقن والجبهة معًا، تمتد عظام رأسه إلى الوراء، كالح الوجه، يوحى وجهه بالكآبة المحزنة، أمَّا روحه فيتملَّكها إلهام مقدَّس، وكان حسَّاسا للطبيعة، مرهف المشاعر الإنسانية ذا شخصية دينية عميقة التكوين، ولا شكَّ فى أنَّه من أعظم المتصوفين فى التاريخ، مستقيم الرأى سليم الفكر، عُرف منذ نشأته الأولى بالعكوف على التأمُّل، والخلوة بنفسه، يطيل التفكُّر فيما حوله، يصلِّى لربِّه فيطيل الصلاة، ويناجيه فى وحدته كما كان يفعل جميع الأنبياء الَّذين جاءوا من بعده، وكان فى الوقت نفسه صادق العزم، قوى الإيمان، طاهر النفس، عفَّ الفرج، كارها للعنف[1].

وتقوم ديانته على اعتبار أنَّ الإله الواحد الَّذى رمزه قرص الشمس " آتون " هو الخالق العام، ولأنَّه حاضر فى كل شىء فليس فى حاجة إلى أنَّ يصوَّر فى تماثيل تؤدَّى لها العبادة، بل كانت تقدَّم القرابين له مباشرة من الثمار والأزهار، ولم يعد هيكله مكانا مظلما خفيًّا بل صَحْنًا مكشوفا للسماء يغمره الإله بنوره، ومن التغييرات الَّتى أحدثها الملك فى النظام الكهنوتى يتبيَّن منها أنَّ الملك اعتمد على كهنة " أون " التوحيدية والفكرة العظيمة الَّتى نادت بها هذه الشريعة هى حب المخلوقات، ومتعة الحياة الَّتى نجدها فى كل سطر من أناشيد إخناتون[2]، وهذه بعض عباراتها:

---

(١) مصر الفرعونية ١٢٨، وقصة الحضارة ٢ / ١٦٨، وفى موكب الشمس ٢ / ٥٩٥.

(٢) مصر ٣٨٦ ـ ٣٨٧.

" جَلِيلٌ أنْ تُشْرِقَ فِى أُفُقِ السَّمَاءِ
يَا آتُونُ الْحَىُّ، يَا خَالِقَ كُلِّ حَيَاةٍ
فَعِنْدَمَا عَلَوْتَ سَمَاءَ الشَّرْقِ
كَسَوْتَ جَمِيعَ الأَرْضِ بَهَاءً
أَنْتَ الْجَمِيلُ، وَأَنْتَ الْكَبِيرُ، وَأَنْتَ تُضِيءُ وَجْهَ الأَرْضِ
حَيْثُ تَحْتَضِنُ أشِعَّتُكَ جَمِيعَ الْبِقَاعِ الَّتِى خَلَقْتَهَا وَحْدَكَ
أَنْتَ الظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ... "[1].

ويناجى إخناتون الإله بقوله:

" أَيُّهَا الإِلَهُ الأَوْحَدُ الَّذِى لَيْسَ لِغَيْرِهِ سُلْطَانٌ كَسُلْطَانِهِ
يَا مَنْ خَلَقْتَ الأَرْضَ كَمَا يَهْوَى قَلْبُكَ
حِينَ كُنْتَ وَحِيدًا:
إِنَّ النَّاسَ وَالأَنْعَامَ كَبِيرَهَا وَصَغِيرَهَا
وَكُلَّ مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ
وَكُلُّ مَنْ يَمْشِى عَلَى قَدَمَيْنِ
وَكُلُّ مَا فِى الْعُلاَ
وَيَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ "

وتكاد تجمع الدراسات على أنَّ هذه الأناشيد كانت من المصادر الرئيسة الَّتى نَقَلَت عنها " المزامير " المنسوبة إلى النبى داود ﷺ فى الأساطير اليهودية[2]، وما بين نشيد إخناتون والمزمور ١٠٤ من تشابه يغفل عنه الناس لا يترك مجالا للشك فيما كان لمصر من أثر فى الشاعر العبرانى[3].

---

(١) يرى ول ديورانت أنَّ نشيد إخناتون أجمل ما بقى لدينا من الأدب المصرى القديم. قصة الحضارة ٢ / ١٦٩، Guy Rachet ; La Bible " mythe et réalités " p.٤٦٥.

(٢) مصر الفرعونية ١٢٩.

(٣) قصة الحضارة ٢ / ١٧٥.

ويقول ول ديورانت: ليست هذه القصيدة من أولى قصائد التاريخ الكبرى فحسب، بل هى فوق ذلك أوَّل شرح بليغ لعقيدة التوحيد، فقد قيلت قبل أنْ يجىء أشِعْيَاء بسبعمائة عام كاملة[1].

ويتحدَّث عن إله إخناتون مقارنًا بينه وبين يهوه إله اليهود، فيذكر ما يأتى:

١ ـ يرى إخناتون أنَّ إلهه ربُّ الأمم كلِّها: "أَشِعَّتُكَ تُحِيطُ بِٱلأَرْضِ، بَلْ بِكُلِّ مَا صَنَعْتَ"، "وَأَخَذُوا فِى جَمِيعِ أَنْحَاءِ الْعَالَمِ يُؤَدُّونَ أَعْمَالَهُمْ"،"وَاسْتَرَاحَتِ ٱلأَنْعَامُ كُلُّهَا فِى مَرَاعِيهَا".

٢ ـ بل إنَّه فى مديحه لإلهه ليذكر قبل مصر غيرها من البلاد الَّتى يوليها الإله عنايته: " وَالْبِلاَدَ ٱلأَجْنَبِيَّةَ مِنْ سُورِيَّةَ إِلَى كُوشَ وَأَرْضِ مِصْرَ"، "إِنَّكَ تَصْنَعُ آلاَفَ ٱلأَشْكَالِ مِنْكَ أَنْتَ وَحْدَكَ مِنْ مَدَائِنَ، وَبِلاَدٍ، وَقَبَائِلَ وَطُرُقٍ كَبِيرَةٍ، وَأَنْهَارٍ".

٣ ـ هذا الإله الحق رمز للأبوَّة الجزعة القلقة الرحيمة الرقيقة القلب، ولم يكن كيهوه رب الجيوش، إنَّ آتون لا يوجد فى الوقائع والانتصارات الحربية، وقتل الأبرياء، بل كان ربَّ الرحمة والسلام، ربَّ الحب بما له من قدرة شاملة مخصبة مباركـة، وبما له من بهاء وجمال فهو يوجـد فى الأزهار والأشجار، وفى جميع صور الحياة والنَّماء، إنَّها الفرحة الَّتى تملأ الدنيا بهجة ورقصا وسعادة:

"وَازْدَهَرَ الشَّجَرُ وَالنَّبَاتُ وَرَفْرَفَتِ طُيُورُ الْمَاءِ فِى مَنَاقِعِهَا وَأَجْنِحَتُهَا مَرْفُوعَةٌ تُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَرَقَصَتْ كُلُّ ٱلأَغْنَامِ وَهِىَ وَاقِفَةٌ عَلَى أَرْجُلِهَا وَطَارَ كُلُّ ذِى جَنَاحَيْنِ كُلُّهَا تَحْيَا إِذَا مَا أَشْرَقْتَ عَلَيْهَا وَأَقْلَعَتِ السُّفُنُ صَاعِدَةً وَهَابِطَةً وَتَفَتَّحَتْ كُلُّ الطُّرُقِ لأَنَّكَ قَدْ طَلَعْتَ وَإِنَّ السَّمَكَ فِى النَّهْرِ لَيَقْفِزُ أَمَامَكَ وَإِنَّ أَشِعَّتَكَ لَفِى وَسَطِ الْبَحْرِ ٱلأَعْظَمِ ٱلأَخْضَرِ يَا خَالِقَ الْبُوَيْضَةِ فِى الْمَرْأَةِ وَيَا صَانِعَ النُّطْفَةِ فِى الرَّجُلِ وَيَا وَاهِبَ الْحَيَاةِ لِلابْنِ فِى جِسْمِ أُمِّهِ وَيَا مَنْ يُهَدِّئُهُ فَلاَ يَبْكِى يَا مَنْ يُغَذِّيهِ وَهُوَ فِى الرَّحِمِ يَا

(١) نفسه.

وَاهِبَ ٱلأَنْفَاسِ يَا مَنْ يُنْعِشُ كُلَّ مَا يَصْنَعُهُ وَحِينَ يَخْرُجُ مِنَ الْجِسْمِ فِى يَوْمِ مَوْلِدِهِ تَفْتَحُ أَنْتَ فَاهُ لِيَنْطِقَ "[1].

وإخناتون العظيم ـ مثل جميع الأنبياء ـ لا يساوم على الدين، ولا يهادى فى الحق، فلا بدَّ من تحطيم جميع الأصنام، ومحاربة الوثنيَّة بكل صورها، فهى فُحْشٌ وضلال وشِرْك، ولا بدَّ من القضاء عليها فى داخل البلاد، وفى خارجها، وأعلن لجميع أركان الدولة " الله واحد لا شريك له " ولا بُدَّ من إبادة جميع الخرافات الدينيَّة السابقة القائمة على تعدد الآلهة؛ فأصدر أمره فى طول البلاد وعرضها بأنْ تمحى من جميع النقوش العامَّة أسماء الآلهة كلِّها إلاَّ اسم " آتون "، وأنْ يزال اسم " آمون " من مئات الآثار، وحرَّم كلَّ دين غير دين التوحيد، وأمر أنْ تغلق جميع الهياكل والمعابد القديمة، وغادر طيبة لأنَّها مدينة نجسة، وأنشأ له عاصمة جميلة على أرض طاهرة لم تدنِّسها الأوثان؛ فأنشأ مدينة جديدة هى آخت آتون " مدينة أفق آتون " المعروفة باسم تل العمارنة، وقد تمَّ بناؤها وتشييدها كاملة بكل قصورها، وبيوتها، ومعابدها، ومقابرها، وشوارعها، وجميع مرافقها الأخرى فى فترة زمنيَّة قياسيَّة، ولعلَّ الدافع الدينى كان من بين الأسباب الَّتى مكَّنت الملك من ذلك، ولم تُبْنَ المدينة بناء ساذجا، بل وجد فيها نقوش جميلة، تزيِّنها صور الطيور والأسماك، وغيرها من الحيوانات، رُسِمَتْ كلُّها فى صور دقيقة جميلة، فلم يفرض إخناتون على الفن قيودًا، وتركه حرًّا طليقا، وفرض على الفنَّانين أنْ يمثِّلوا الأشياء كما يرونها، وأنْ يغفلوا العرف الَّذى جرى عليه الكهنة، واسترشدوا فى تصويرهم بعقيدته الحيويَّة فى إلهه؛ فصوَّروا كلَّ الكائنات الحيَّة النباتيَّة والحيوانيَّة فى تفصيل ينم عن عظيم وعطف شديد ودقَّة لا تسمو عليها دقَّة فى أىِّ مكان أو زمان، بل وصوَّروه هو فى صورة شاب نحيل، رقيق، ورأس مسرف فى الطول، والقيد الوحيد الَّذى ألزم به الفنَّانين هو أنْ حرَّم عليهم أنْ يرسموا صورًا لآتون؛ لأنَّ الإله الحق فى اعتقاده لا صورة له، وكان من أثر ذلك أن ازدهر الفن أعظم ازدهار فى عهده[2].

---

(١) قصة الحضارة ٢ / ١٧١ ـ ١٧٣، Guy Rachet ; La Bible " mythe et réalités " p.٤٦٥.

(٢) مصر والنيل ١٩٧، وقصة الحضارة ٢ / ١٧٥ ـ ١٧٧.

ويمكن أنْ نجمل أهمَّ النتائج الَّتى أحدثتها ثورة التوحيد على يد إخناتون فيما يلى:

١ ـ قضى على السلطات الواسعة الَّتى كان يتمتَّع بها رجال الدين، والكهنة، وعلى الأخص كهنة " آمون " الَّتى بلغت حدًّا من الخطورة يزعج الملك، ويحدُّ من نفوذه، ولا يمكن السُّكوت على هذا التحكم منهم فى إدارة الدولة.

٢ ـ لا وساطة بين الإنسان وخالقه، ويستطيع كلُّ إنسان أنْ يعبد الله منفردًا مباشرة، ومتوجِّهًا إلى الله دون حاجة إلى رجل دين.

٣ ـ بنى مدينة جديدة فى كل شىء؛ فقد صُمِّمَت المدينة بشوارعها المنتظمة، تتجاور فيها قصور الملك والنبلاء ومنازل كبار الموظفين إلى جانب بيوت العمَّال وأبناء الشعب البسطاء، فجميع الناس سواء أمام الله لا فرق بين غنى وفقير، ولا عظيم وحقير.

٤ ـ ألغى أماكن " الحرملك " ـ الأماكن المخصَّصة للحريم ـ فى جميع القصور الملكية وقصور النبلاء تأكيدًا لمبدأ المساواة بين الذكور والإناث، فالجنسان أمام الله سواء، ويبدو أنَّ المرأة تمتَّعت بمكانة عظيمة فى هذا الوقت، ولا عجب، فقد اختار له أبوه أمنحتب الثالث أمًّا عظيمة، من أسرة شعبيَّة، لا تجرى فى عروقها الدماء الملكيَّة، إنَّها الملكة " تى " بنت يويا، وهو واحد من كبار الضباط والقادة بسلاح المركبات الحربية.

وكانت زوجه الملكة " نفرتيتى " ـ أشهر امرأة فى التاريخ ـ تشاركه عبادة التوحيد، كما كانت تشاركه فى الملك، وكان إخناتون فى مناجاته خالقه يقول:

" أَنْتَ أَوْجَدْتَ الْعَالَمَ وَأَقَمْتَ كُلَّ مَا فِيهِ لابْنِكَ إِخْنَاتُونَ ذِى الْعُمْرِ الْمَدِيدِ وَلِزَوْجِهِ الْمَلَكِيَّةِ الْكُبْرَى مَحْبُوبَتِهِ سَيِّدَةِ الْقُطْرَيْنِ نِفَرْ ـ تِفْرُو ـ آتُون، نفرتيتى الْبَاقِيَةِ الْمُزْدَهِرَةِ أَبَدَ الآبِدِينَ "[1].

---

(١) قصة الحضارة ٢ / ١٧٤.

٥ ـ التواضع الجم، والبساطة الرائعة؛ فقد كان الملك يعيش عيشة مطمئنَّة، فى أحضان زوج حنون، وسبع بنات، وقد وصلتنا تحف صغيرة تظهر الملك يحتضن الملكة، وبناته تحت قدميه، وسمح لمصوِّريه أنْ يرسموه فى عربة يسير بها فى الشوارع، يلهو، ويطرب، مع زوجه وبناته وكانت الملكة تجلس إلى جانبه فى الاحتفالات الدينية ممسكة بيده، وبناتها يلعبن إلى جانب عرشه.

وبالرغم من أنَّ القانون كان يجيز له أنْ يطلب ولدًا ذكرا من زوج أخرى، يرث عرشه إلاَّ أنَّه آثر حبَّ الزوج الطيبة على طلب الولد؛ فكان يصفها بأنَّها " سيِّدة سعادته "، ويقول: " إنَّ الملك يبتهج قلبه حين يسمع صوتها "، وكان قسمه بهذه الصيغة "بقدْر ما تسعد قلبى الملكة وأطفالها"، يقول ول ديورنت: "لقد كان حكم هذا الملك فترة من الحنو والعطف وسط ملحمة القوَّة والسلطان فى تاريخ مصر"[١].

٦ ـ أحدث تطورات هائلة فى فنون العمارة والنحت والتصوير؛ فقد انكسر جمود القواعد الصارمة الَّتى ظلَّت تحكم الفن المصرى القديم لآلاف السنين السابقة على عهده، وحلَّت محلَّها ابتكارات جديدة، تعبِّر عن اتجاهات واقعيَّة، ورؤية فنيَّة تمجِّد فكرة "الحياة فى حقيقتها" وهى جوهر الفلسفة الآتونيَّة، وإنَّ القليل من آثارها الَّتى وصلت إلينا تعتبر من أجمل الروائع الفنيَّة لا فى مصر وحدها بل فى كل أنحاء العالم، والتماثيل الَّتى صنعت لزوجه نفرتيتى وأمه تى وله شخصيًّا خير شاهد لى مدى الثورة الَّتى أحدثها فى فن النحت[٢].

٧ ـ كان للمبادئ الَّتى أرساها إخناتون أبعد الأثر فى حياة الطبقات الدنيا من الشعب؛ فازدهرت طبقتا الفلاحين والعمَّال، وخففت عنهما الضرائب، وأعطيتا الكثير من الحقوق والحريات.

وبعد سنوات من موت إخناتون زادت تكاليف المعيشة، وارتفعت الأسعار فى

---

(١) نفسه ٢ / ١٧٨.

(٢) مصر والنيل ١٢٦ ـ ١٣٠، ملخصًا من كتاب مشرق القوة لجويس ميلتون.

عهد رمسيس الثالث بسبب المصنوعات المصريَّة الكثيرة، والمصنوعات الأجنبيَّة الَّتى أخذت تتدفَّق فى الأسواق، وأحسَّ العمَّال أنَّ أجورهم الَّتى يحصِّلونها عن أعمالهم لا تتناسب مع الجهد الَّذى يبذلونه، ولم تعد تكفى لتوفير أسباب المعيشة؛ لذلك أضرب العمَّال عن العمل وطالبوا بزيادة مرتّباتهم، مما يعتبر أوَّل تسجيل تاريخى فى العالم لعمليّة إضراب العمَّال من أجل المطالبة برفع الأجور[1].

٨ ـ فى سنة ١٨٩٣ م عثر سير فلندرز بِتْرِى ـ عالم المصريَّات ـ فى تل العمارنة على أكثر من ٣٥٠ لوحة، هى رسائل مكتوبة بالخط المسمارى معظمها طلبات ملحَّة للنجدة، موجَّهة إلى إخناتون من أمراء فلسطين والشام المعينين من قبل الإمبراطوريَّة المصرية؛ فقد غزا الحثيون والخبيرو البلاد التابعة لمصر، واستصرخ الأمراء الملك، وألحُّوا فى طلب النجدة العاجلة وتردد إخناتون فى الأمر، ذلك أنَّه لم يكن على ثقة من أنَّ حق الفتح يبرر إخضاع هذه الولايات لحكم مصر، وكان يكره أنْ يرسل المصريين ليهلكوا فى ميادين القتال البعيدة دفاعا عن قضيَّة لا يثق بعدالتها ولمَّا رأت الولايات أنَّها لا تطلب نجدة من ملك حاكم، بل تطلبها من ولى صالح خلعت حكَّامها المصريين، وامتنعت فى غير جلبة عن أداء شىْء من الخراج، وأصبحت حرَّة مستقلَّة فى جميع شئونها، ولم يمض من الزمن إلاَّ أقصره حتَّى خسرت مصر أمبراطوريتها الواسعة "[2].

وأكثر المؤرخين يحمِّلون إخناتون جرائر ضياع الإمبراطوريَّة الواسعة الَّتى رعاها وحفظها ووسَّعها أبوه أمنحتب الثالث العظيم، ولكن الدكتور أحمد قدرى، فى رسالته لنيل درجة الدكتوراه من جامعة بودابست، بالمجر، وعنوانها " المؤسسة العسكريَّة المصريَّة فى عصر الإمبراطوريَّة ١٥٧٠ ـ ١٠٨٧ ق.م. Officers and Officials in the New Kingdom "[3] يبرِّئه من هذه التهمة، ويثبت أنَّ السبب فى انهيار الإمبراطورية كان راجعًا إلى هيمنة كبار ضبَّاط الجيش على جميع مقدَّرات

---

(١) مصر والنيل ١٣٧.

(٢) قصة الحضارة ٢ / ١٧٨.

(٣) تجد موجزا لهذا الكتاب فى مصر والنيل ١٨١ ـ ٢٠٧.

الدولة، والصراع بينهم وبين الكهنة الَّذين كانوا يحاولون استعادة سيطرتهم وهيبتهم ومكانتهم فى الدولة.

٩ ـ لم تمت دعوة التوحيد بموت إخناتون، بالرغم من القضاء المبرم عليه وعليها، وتدمير مدينته وتسويتها بالأرض؛ بل ظلَّ لها أتباعها وأنصارها الموحِّدون، ويقال: إنَّ سيِّدنا موسى عليه السلام كان على عقيدته.

من المعلوم أنَّ حياة الأنبياء والمصلحين وأعاظم التاريخ فى كل عصر يتصدَّى لدعوتهم المناوئون والمعارضون، وتقف فى طريقهم الصعاب؛ وشخصيَّة إخناتون ـ كغيره من العظماء ـ محلَّ خلاف شديد بين القدماء والمحدثين، وانقسم المؤرخون فى سيرته قسمين:

بعضهم يرفعه إلى درجة النبوَّة السَّامية. وبعضهم يهبط به إلى الحضيض، ويصفون شخصيَّته بالشذوذ والانحراف، بل ذهب بعضهم إلى أنَّه كان مخنَّثًا، وربَّما تحوَّل جنسيًّا فى أواخر أيَّامه، وقد ناقش الدكتور أحمد بدوى أقوال المؤرخين، وافتراءاتهم فى دراسة طويلة شيِّقة أنصف فيها الرجل، وردَّت إليه كرامته وبيَّن مكانته بين عظماء الرجال والأنبياء[1].

وكل هذه الأقوال ضرب من الحدس والظن، فقد مات إخناتون فجأة، فى عام ١٣٦٢ ق.م. وهو فى نحو الثلاثين من عمره، ولم يعثر على جثَّته، ولعلَّه مات نتيجة لثورة دبِّرت ضدَّه من أعدائه، وما أكثرهم فى الداخل وفى الخارج، مات محطَّم القلب كسير الفؤاد، بعد أنْ عجز عن تدبير شئون المملكة سياسيًّا، كما أيقن أنَّ شعبه غير جدير به، فلم يعى سمو رسالته[2].

---

(١) فى موكب الشمس ٢ / ٥٩٢ ـ ٦٠٥.

(٢) ومصر والنيل ١٣٠، وقصة الحضارة ٢ / ١٧٩.